الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي أكلي محند أولحاج
معهد اللغات والآداب
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان البحث

الرمز في شعر سي محند أومحند
دراسة وصفية تحليلية

مذكرة لنيل شهادة ليسانس

من إعداد:
- صايفي فازية
- نجاري رشيدة

إشراف:
أ/د- محمد جلاوي

السنة الجامعية: 2011/2010

الإهـــــداء

- إلى من كان سندي الدائم وحافزي للنجاح، إلى مصدر فخري واعتزازي إليك "أبـــي الغالي" أطال الله في عمرك.
- إلى التي يعجز اللسان عن وصفها إلى نبع الحنان الذي لا يجف، إلى التي ربّتني فأحسنت تربيتي "أمـــي الحبيبة" حفظها الله.
- إلى من كبرت بينهما إلى من أنار دربي وأيقظا روح العمل في قلبي، إلى مثلي الأعلى

الإهـــــداء

- ❄ إلى أعظم إنسان رأته عيناي، وأعظم اسم نطق به اللسان "إلى أبــي الغالي".
- ❄ إلى التي ربّتني، وكانت نهر يقيض بالأمان والحنان "أمــي العزيزة".
- ❄ إلى محط فخري في الحياة: أعماروش، حكيم، شعبان، أخواتي الأعزاء.
- ❄ إلى أختاي: فريدة، فريزة.

مقدمة:

إن أدبنا العربي القديم بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث وأكثر من ذلك هو بحاجة إلى رؤية جديدة تعكس وتكشف أسراره و خباياه، وعلى وجه الخصوص الأدب الأمازيغي، وهذا الأخير الذي يتميز بميزة أساسية هي الشفوية.

فالشعر القبائلي رغم تعدد موضوعاته ومضامينه فإنه لم يحظ بعناية الباحثين لذلك ولدت لدينا رغبة لمعرفة هذا الإرث الشعري. وبهذا كان موضوع بحثنا حول دلالة الرمز عند الشاعر سي محند أومحند و الدافع وراء هذا الاختيار قناعة منا بأن شغر سي محند غني بأبعاد دلالية غير واضحة أردنا استكشافها، وكذلك قلة الدراسات في حقل الأدب الأمازيغي لا سيما الشعر الذي يعتبر حبل وصال بين الشاعر وقارئه، فهو تعبير عما يختلج في ذاته من أحاسيس و ميولات

بطريقة تمنح القارئ متعة عند تلقيه له-الشعر- وهذا ما كان بدوره عند الشاعر الأمازيغي الذي يربط شعره ارتباطا وثيقا بظاهرة الغموض إذ أن الشاعر يعبر عن فكرته بصورة رامزة ، وذلك بعدم التصريح بما يدور في نفسه.

ولقد كان توظيف الرمز في شعرنا القبائلي القديم وسيلة فنية قصد إعطائه أبعادا دلالية مفتوحة تجعل القارئ يدخل في لأعماق القصيدة حتى يصل إلى الفكرة الرئيسية التي أرادها الشاعر أي الدلالة المقصودة.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي للمادة الشعرية .

لإنجاز هذا البحث سخرنا خطة لتكون لنا معلما تنير دربنا، فبعد المقدمة قسمنا عملنا هذا إلى فصلين. فجعلنا حديثنا في الفصل الأول مقتصرا على ماهية الرمز فعرفناه و أشرنا إلى بدايات نشأته عند الغرب و العرب، ثم عرجنا على أنواعه الطبيعية و الأسطورية و الدينية و كذلك التاريخية. أما الفصل الثاني فأعطيناه روح الحيوية و الفعالية من خلال النموذج التطبيقي الذي حققناه بالدراسة فاعتمدنا مقاطع من أشعار سي محند أومحند واستخراج الرمز الموجود فيها و تحليله مع تصنيفه، لنختم بحثنا بخاتمة جمعنا فيها ما تمكنا من الوصول إليه.

في بحثنا هذا اعتمدنا على طائفة من المصادر و المراجع أهمها مرجع يعود لمولود معمري.

في نهاية المطاف حاولنا أن نقدم للقارئ الذي لا يتقن الأمازيغية نماذج شعرية في لغتها الأصلية مترجمة للغة العربية.

وقد واجهتنا في جمع مادة هذا العمل مجموعة من الصعوبات منها ما بتعلق بقلة المراجع ومنها ما بتعلق بالموضوع في حد ذاته كونه موضوع يكتنفه الكثير من الغموض.

في الأخير نأمل أن يرقى بحثنا إلى مستوى البحوث الأكاديمية ولا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا المحترم دليل بحثنا الأستاذ *__محمد جلاوي__* وكذا كل من ساعدنا من بعيد أو قريب في إعداد صفحات هذه المذكرة.

1. مفهوم الرمز:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة رمز أنّ:<< الرّمز تصويت خفيّ باللّسان كالهمس، ويكون بتحريك الشّفتين بكلام غير مفهوم من غير إبانة بصوت. وإنّما هو إشارة بالشّفتين وإيماء بالعينين والحاجبين والفمّ والرّمز في اللّغة كل ما أشرت إليه بيد أو بعين ورمزَ يرمزُ رمزاً>>[1].

[1] أبن منظور، لسان العرب، ط1، بيروت، (1413هـ، 1993م)، ج1، ص512.

وفي التّنزيل العزيز في قصّة زكريا عليه السّلام: ﴿ **قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألاّ تكلّم النّاس ثلاثة أياما إلا رمزا، وأذكر ربّك كثيرا وسبّح بالعشيّ والإبكار**﴾ آل عمران، الآية41. ففي هذه الآية الكريمة أمر الله سبحانه و تعالى نبيه زكريا عليه السلام بعدم مخاطبة النّاس ثلاثة أيام بل أمره بالرمز ويريد بهذا: الإشارة بيد أو برأس مثلا والمعنى أنك تعجز عن مخاطبة الناس ثلاثة أيام فلا تتواصل معهم إلاّ بالإشارة.

ولقد أطلق الرّمز على ما يشير إلى شيء آخر، ويقال لذلك الآخر مرموز إليه، جمعه رموز ومنه قول الشاعر:

<< **وقال لي لرموز من لواحظه ♦ إنّ العناق حرام قلت في عنقي**>>[1]

فالشاعر في هذا البيت عبر عن الرمز ولكن بصورة إيحائية.

ب- اصطلاحا:

فيما يخص الجانب الاصطلاحي للرمز، فقد تنوعت المفاهيم وتعددت بتعدد زوايا النظر إلى هذا المصطلح، الذي تعرّض إلى نوع من التضارب لاختلاف أصحاب تعريفاته كل حسب مجال تخصصه.

يعتبر الرمز من الثياب التنكرية للشعر، ومدينة من مدنه السحرية، كما أنه يعتبر وسيلة من وسائل التعبير اللغوية تحمل وظائف جمالية، تمكن الشاعر من التعبير عن أحاسيسه وتجاربه بطريقة غير مباشرة، حيث يتخذ من الحدس برزخا بين مسارب النفس عند الشاعر، وبين إدراكات المتلقي، لا عن طريق الصور الجزئية منفردة، وإنما عن طريق تضامنها في تركيباتها كما أن هناك من يرى أن "الرمز فن التعبير عن الأشياء والعواطف، ليس بوصفها مباشرة، ولا بتعريفها من خلال مقارنات أو تشبيهات مفتوحة أو واضحة بصورة محسوسة ولكن باقتراح ماهي هذه الأفكار والعواطف بإعادة خلقها في ذهن القارئ من خلال الرموز"[2]. فالرمز معناه الإيحاء أي التعبير عن الجوانب النفسية الكامنة في الذات بطريقة غير مباشرة والتي تعجز اللغة عن أدائها في دلالتها الوصفي فالرمز إذن هو الصلة بين الذات والأشياء، حيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح.

أما أدونيس فيعرف الرمز ويقول" هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص...إن اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هي القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة"[3]. أي أنه يجلنا نرى شيئا آخر غير الشيء الذي كان يحمله ألفاظ النص وكلماته أو هو المعنى الذي ندركه بعد قراءتنا للقصيدة.

في الاتجاه النفسي يذهب فروي "FREUID" إلى أن الرمز:" نتاج الخيال اللاشعوري وأنه أولي"PRIMITIF" يشبه صور التراث والأساطير"[4]. حيث أن الشاعر يحمل في ذاته طاقات باطنية، والرمز هو أداة لتفجير هذه الطاقات تتكئ على متسربات الشعور واللاشعور ومعطيات الواقع واللاواقع، يمتزج فيها العلم بالواقع والرمز بالحقيقة.

" فالأداء الرمزي في القصيدة الحديثة، يمثل قمة تطور الأسلوب الشعري، حيث فتح أبوابا للشر لم تكن من قبل أو كانت له ولكن في نطاق محدود وضيق مما يجعل اللغة تكتسب دلالات نفسية وحسية تنجر معها عوالم غير محدودة من الرمز والصورة الرامزة"[5]. فاللغة تكتسب دلالات حسية و نفسية جديدة بفضل الأداء الرمزي الذي استطاع أن يطور الأسلوب الشعري، ويفتح أبوابا لم تكن موجودة سابقا، ونجد بكري شيخ أمين الذي أورد مفهوم الرمز على أنه" كناية قليلة خفية اللوازم"[6].

أما ويليام بيتر ييتس "WILIAM BITTAR YEATS" فقد كتب في بداية حياته مقالة حول الرموز السائدة في شعر شيلي"CHILI" ويقول :" يجد المرء في شعره إلى جانب الصور التي لا تحصى، والتي ليس لها محدودية الرموز عدة صور هي بالتأكيد رموز، وبمرور السنين بدأ يستعملها بمزيد من التغمد بأعراض رمزية"[7] ومن هذا المنطلق يرى أن الشاعر المتمكن هو الذي يستطيع التوفيق بين أفكاره، وما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس يمكن تجسيدها على شكل صور رمزية. فالرمز يجعل الشعر لا يظهر بصورته المحسوسة، بل يعمل على بث جملة من المشاعر والأحاسيس التي تدفع القارئ والمتلقي إلى أن يحس بوجود عالم آخر خلف هذا العالم الماثل أمامنا.

2. نشأة الرمز:

أ- عند الغرب:

الرمز شيء مألوف في تعبير الإنسان وفي طبيعته، فهو أسلوب متفق عليه حيث لجأت إليه المجتمعات بصفة عامة، منهم الغرب فلا يحتاج إلى مدرسة تنبه الأذهان إليه" فالخيال لا يستشير مدرسة من المدارس لتشير عليه أن يحلم بالصور

---

[1] نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ط1، الجزائر، 2003، ص70.

[2] رجاء عيد، لغة الشعر، قراءات في الشعر ع م، دط، منشأة المعارف الإسكندرية، دس، ص180(بتصرف).

[3] عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع بوزريعة الجزائر،2005، ص78.

[4] محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ط3، دار المعارف جامعة القاهرة،دس، ص96.

[5] عبد الحميد هيمة، المرجع السابق، ص78.

[6] بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ط8، دار العلم، بيروت، 2003، ص157.

[7] رينيه وبليك واستن واربن، نظرية الأدب، تر، محي الدين صبحي، مراجعة حسام خطيب، دط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987، ص197.

والتشبيهات أو يحلم بقواعد التحليل والتركيب في معامل الكيمياء والشاعر لا يعاب عليه إذا مثل لنا الكواكب والأزهار فألبسها ثياب الأحياء"[1]. أي أن الخيال لا يحتاج لمدرسة تملي عليه قواعد وقوانين، فلا يعاب على شاعر إذا مثل لنا الكواكب والأزهار برموز وإيحاءات.

<< ولقد حاول الشعراء الإنعتاق من العقل والمنطق، هذا الأخير أدى إلى خنق واستنصال تطلعات الإنسان، وكل ما يختلج في نفسه من أحلام ورغبات، هذا ما أدى بالشعراء الفرنسيين والأوروبيين عامة إلى ثورة على هذه المذاهب الكلاسيكية القديمة في ذلك الوقت، وأعلنوا عن ميلاد عالم يحرر الإنسان من ذلك الخنق والأسر وهو عالم النفس كما أدى بهم أيضا إلى تحرير الشعر من أوزانه المتحجرة والقيود العتيقة>>[2]. أي أن الإنسان له تطلعات وأحلام ورغبات، لكن العقل والمنطق قد يعيق تحقيق هذه الأخيرة، وهذا ما أدى بالشعراء الأوروبيين بالإعلان عن ميلاد عالم جديد، وهو عالم النفس كما ساهم هؤلاء في تحرير الشعر من القيود والأوزان القديمة.

وفي أواخر القرن الثامن عشر وفي اهتمام الشعر بالخيال وجد أن الخيال الرومانسي، خيال طموح يتطلب مثلا له أينما وجد في غير زمانه ومكانه، لا يستوجبه أولا وآخرا إلا من ذات نفسه، ولا يتاح له فهم ما تجيش به عواطفه وآماله إلا بالصورة التي يضيفها إلى الحقائق.

<<ولقد كان "كولردج" "Colridge" و"برونتج" "Broninge" و"سونيبرن" "Soniborne" و"تنسيون" "Tension" من أعلام الشعر الإنجليزي يتناولون المعاني الغامضة تارة بالرمز والكناية، وتارة أخرى بالكلمات التي تماثلها في الغموض>>[3] أي أنهم يستخدمون المعاني الغامضة إما بالرمز والكناية وإما بالكلمات التي تقابلها مثل التشبيه والاستعارة

<< كما نجد "أدجان ألان بو" من المتأثرين بفلسفة كانط حيث كان يدعوا إلى عدم المحدودية في موسيقى الشعر إلى انطلاق إيحائي مبهم>>[4] أي أنه يدعوا إلى أن الموسيقى الشعرية غير محدودة وذلك من خلال الإيحاء الغامض.

كما أن الحركة الرومانسية التي ظهرت في القرن الثامن عشر لم تكن مجرد نزعة عاطفية أو اتجاها للتعبير عن الحالات النفسية والانفعالية، بل كانت تضم الكثير من الأفكار المعقدة المتشبعة حيث اعتمدت نوعا من الفلسفة، فمن أتباع هذه الحركة "نوفاليس" "Novalis" << الذي يهتم باللغة وأثرها الشعري، كما كان يدعوا إلى ضرورة العودة إلى بساطة الطبيعة ورفض التقاليد الموروثة الجامدة وتشجيع البحث عن الذات حيث يرى أن الطبيعة رمز كبير وفسيح كما أنه في آخر الأمور تمثيل لنوع آخر في الحقيقة والواقع>>[5].

لهذا فإن وظيفة الشعر الحقيقية ليست هي العرض والإيضاح وإنما هي الإيحاء، ولقد تزايد الاهتمام بهذه الطريقة في قول الشعر لأنها الأكثر تحررا ولأنها الأقدر على التعبير عن لا شعور الإنسان لأن هذا الأخير لديه حالتين إحداهما واعية يدركها العقل والأخرى غير واعية لا يمكن للعقل إدراكها.

قال "سبنسر" "Spencer" و"شوبنهاور" "Shopenhauer" الألمانيين، اللذين رأيا أن الوجود مملوء بالألغاز والرموز، وأن تحت تأثير هذه الفلسفات ظهرت جماعة لقبت بالمنحطين، ثم لقبوا فيما بعد بالرمزية هؤلاء رأوا أن الشعر الحقيقي يتمثل في اكتشاف تلك العلاقات الخفية الكائنة بين الألفاظ، وبين ما يفوق الوصف والتعبير حيث رأى رواد هذا المذهب أن الشعر لم يعد ذلك الكتاب المفتوح، وإنما يجب أن يبث في القارئ روح التفكير والتأمل فيفسح بهذا مجالا واسعا لتأويل. فالشاعر "ستيفان مالارميه" "Stéphan Mallarmé" الذي اتصفت قصائده بالغموض، << يرى أن اللجوء إلى اللغة العادية هو خيانة وهذا راجع لسببين: أحدهما أن الكلمات لها معان محددة، وهذا ما يعيق الشاعر من التعليق إلى عالم ما وراء المادة، وثانيها هو ذلك الالتزام في ترتيب الكلمات أثناء التعبير >>[6].

كما قال أيضا مالارميه:<< إن ذكر الشيء باسمه يزيل إلى ثلاثة أرباع لذة الشعر، وأن السعادة تتحقق في أن تخمن قليلا والإيحاء في الشعر يخلق جوا من الحلم>>[7].

أي أن لذة الشعر تكمن في عدم ذكر الشيء باسمه حيث يجعلنا نفكر قليلا ونتأمل قليلا، وأن الإيحاء في الشعر يحقق جوا من الحلم. لهذا نجد قصائده مليئة بالغموض والإيحاءات والتأويلات، حيث كان ينبذ الفكرة الواضحة التي تقدم للقارئ بسهولة.

نلاحظ من كل ما ذكرناه سابقا أن الرمز أصبح له مكانة هامة وأصبح من الوسائل الأنجح للتعبير، لهذا نجد شعراء آخرون بعد "مالارميه" اتخذوا من الرمز وسلة للتعبير فيقول "بول فارلين" الذي هو تلميذ مالارميه عمل على اكتساب قصائده تعقيدا وغموضا في المعنى حيث تعبر قصيدة "المقبرة البحرية" خير دليل على ذلك بحيث أنه استخدم رموزا معينة للتعبير عما يريده بطريقة غير مباشرة فمثلا "الظهيرة الصامتة" ماهي إلا السنوات التي قضاها محيلا لا ينظم الشعر و"الريح" عبارة عن ذلك الاندفاع في التعبير وغير ذلك من الرموز كما أن هناك شاعرا آخر كان له دور كبير في هذا المجال ألا وهو "بودلير" Boudlaire الذي يرى أن القصيدة:<< تعبير بالصور عن بناء ذهني وروحي ومعاني

---

[1] يوسف عيد، المدارس الأدبية ومذاهبها، قسم تطبيقي، ط1، الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ج2، ص213.

[2] المرجع نفسه، ص217.

[3] المرجع نفسه، ص115.

[4] إحسان عباس، فن الشعر، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1996، ص58.

[5] يوسف عيد، المرجع السابق1994، ص170(بتصرف).

[6] إسماعيل العربي، من روائع الأدب العربي، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص67، بتصرف.

[7] تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دط، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دس، ص18.

رموز مشتقة من العالم>>[1]. حيث نجد أنه اعتمد على الرمز كوسيلة للتعبير عن العواطف والأفكار لم تستطع الكلمة العادية التعبير عنها.

إضافة إلى هؤلاء الشعراء هناك آخرون كالألماني "رنير مانياريلكة" Renard Maniarilka و"سان جون بيرس" Saint John Perse" و"بول فاليري" من مناطق أخرى من أوروبا. وحتى أمريكا، وروسيا اتخذوا الرمز وسيلة ليبحثوا عن الحقيقة وراء الموجودات المحسوسة لهذا نجد الرمزية الغربية كان لها تأثير كبير في الأدب ودور فعال في إثرائه << ولقد كان لاستعمال الرمز في الغرب مميزات وخصائص، منها: الاعتماد على تراسل الحواس حيث نعطي المسموعات ألوانا وتصير المشمومات أنغاما، وتصبح المرئيات عاطرة لتوليد إحساسات تغني بها اللغة الشعرية >>[2] أي أن تراسل الحواس من مميزات وخصائص الرمز عند الغرب وأن توليد الإحساسات نجدها في اللغة الشعرية أكثر من غيرها.

ولقد كان الرمزيون يستعملون الألفاظ المشعة الموحية التي يعبرون بها عما يختلج في أنفسهم من إحساسات داخلية، كما نجدهم يلجئون إلى استعمال الصور الشعرية الغزيرة، التي يضفون عليها شيئا من الغموض، بحيث يعطون للقارئ فرصة الفهم بطريقته الخاصة، ويعطونه حرية التأمل، والتخيل لذلك نجدهم يهدفون إلى توليد الكثافة والتعقيد في شعرهم باستعمال هذه الصور كما عمد هؤلاء الشعراء إلى تحرير الشعر من القواعد النحوية، ومن القوافي والأوزان حتى يكون مرنا يؤدي الهدف،<< لهذا نجد الرمزيون، كانت مهمتهم الأولى هي البحث عن الحقيقة والعثور على جوهر الشعر، وكانت وسيلتهم الأساسية هي تحقيق هدفهم هذا هو الرمز>>[3] أي أن مهمة وهدف الرمز الأول والأساسي هو البحث عن الحقيقة والكشف عن لب وجوهر الشعر.

ب- عند العرب:

إن المتتبع لبعض جذور الرمز يجد مزيجا له في شعرنا الجاهلي حيث ألف ابن دريد كتاب باسم "الملاحق"إذ يقول في مقدمته:<< هذا كتاب ألفناه ليفرغ إليه المجبر المضطر على اليمين المكره علينا ليعارض بما مرسناه، ويضمر خلاف ما يظهر ليسلم من مادية الظالم ويتخلص من جنف الغاشم>>[4] فقد وصف المحدثون الشعر الجاهلي بالجمود والسطحية والسذاجة، هذا لأن أصحابه يعبرون عما يختلج في أنفسهم بعفوية، وكأنهم ليسوا على علم بتعقيدات العالم وهذا ما ينطبق علينا، إذ لم نرى في شعرهم أي تعمق وهذا ما نجده في قصائد كثيرة، ونماذج متنوعة لها بنيتها السطحية وكذا العميقة بحيث نجد محاولة الانتقال من التجربة الفردية إلى كون يمتزج فيه العالم الحيواني بالعالم الإنساني، أي يعمل على اكتساب النص طبيعة شمولية فمثلا نجد قصيدة << "للبيد بن ربيعة العامري" الذي وظف فيها رموزا طبيعية للوصول إلى فكرته، فاستخدم العصماء رمزا للمتعة والعظمة والرسوخ، واستخدم أيضا "نشر لقمان" الأسطوري الذي عمر حتى بدا الموت وكأنه عاجز عنه >>[5]. كما أن للبيئة الجاهلية نماذج كثيرة ومتعددة، فمثلا الناقة والحصان كانا يمتلكان وجودا رمزيا في الشعر، فهما يمثلا رمز للصلابة والقوة كما أنهما رمزا للانتصاب والثبات، هذا ما نلاحظه في استخدام "طرفة بن العبر" للناقة كرمز في خلق الثبات حيث يقول:

<< شقته إياه الشمس ♦ آسف ولم تكدم عليه بإثمد
ووجه كأن الشمس حلت ردائها ♦ عليه نقي اللون لم يتخذ
وأني لأمضي الهم عن احتضاره ♦ بعوجاء مر قال تروح وتعتدي
أموت كألواح الآرات نضأتها ♦ على لاحب كأنه ظهر بُرخُد
جمالية وجناء تردي كأنها ♦ سفنجة تبري لأزعرابد >>[6]

وعلى هذا التصور تكون بنية القصيدة، تجسدا لما يختلج في داخله، كما نجد في قصيدة أخرى تحت عنوان "المفتاح" أحداث تدور بين الحمار والأتان إذ لم يكتف "طرفة بن العبد" بالسرد فقط بل حاول أن يجسدها على أرض الواقع، << وطرح إشكالية امتزاج وتلاحم الموت بالحياة والجفاف والخصب... الخ>>[7] وهناك رموز أخرى كالنار التي تعتبر رمزا للحياة لأنها كانت تدعوا المتبعين إلى مرابع الهناء والنجاة، كما نجد أيضا المطر كرمز للحياة والخصب.

بالإضافة إلى ما ذكر نجد أبو تمام الذي يعتبر أحد أفذاذ العصر العباسي المتأخر حيث أحدث ضجة في عصره، إذ ابتكر أفكارا وصورا جديدة لم تكن مألوفة ومعروفة في ذلك الوقت واللغة في نظره لا تؤدي كل ما يريد، فهي ليست إلا رموزا غامضة، كما اعتبرت هذه المرحلة شبيهة بالضجة التي شبت في فرنسا عند ظهور المذهب الرمزي.

---

[1] السعيد لورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماته الفنية وطاقاته الإبداعية، دار المعرفة الجامعية للطبع والتوزيع، بيروت، دس، ص12.

[2] يوسف عيد، المرجع نفسه، ص86.

[3] تسعديت آيت حمودي، المرجع السابق، ص33، 32.

[4] بكري شيخ أمين، المرجع السابق، ص137.

[5] المرجع نفسه، ص159، بتصرف.

[6]ابن عبد الله الحسين بن أحمد الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، ط3، دار الكتب العالمية ببيروت، 2002، ص41

[7] كمال بوديب، الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص51.

"فأبو تمام" كان يستعين على صبغين مهمين من أصباغ التصوير يروهما التجسيم والتدبيج، إذ يجسم معانيه العميقة في صور حسية لا يلبث أن يدبجها بألوان مادية[1]، هذا ما نجده في قوله لبعض ممدوحيه في هذه الأبيات:

<< أبديت لي عن جلدة الماء الذي ♦ قد كنت أعهده كثير الطحلب

ووردت في بحبوحة الوادي ♦ خليتني لوقفت عند المذنب >>[2]

ما نلاحظه في هذه الأبيات أن الشاعر بصدد المدح، إذ يقول بأنه: سخي له العطاء الذي كان يراه من غير كدر، ثم يستمر ليعبر عن الكدر والعسر بركوب الطحلب للماء، حيث يصور نفسه مع ممدوحه في بحبوحة الوادي، لكن غيره يقف عند المذنب فلا ينبله إلا الوحل القليل.

إن السمات الخاصة للقصيدة التقليدية المتمثلة في عمود الشعر، حالت دون أن يصبح للترميز قديما فلسفة فنية متكاملة، حيث أن الأدب الربي عرف نوعا آخر من الاستخدام الرمزي الذي نجده عند المتصوفة الذين أفرطوا في الرمز، إذ كان شعرهم في الظاهر عبارة عن تغزل بامرأة، لكن المدرك والعارف للغتهم يدرك أنهم يهيمون بعالم لا يمد بصلة إلينا، عالم الحب الإلهي، والتقوى والدين والتشوق للآخرة، فمثلا ابن فارض نجد في شعره ما يبين لنا أنه رجل تغلب عليه الشهوات والتغزل بالنساء، إلا أنه في الواقع رجل متدين يغلب عليه حب الله، لهذا فإن شعره يغلب عليه معنيين أحدهما ظاهري وهو الشوق والهيام والثاني باطني وهو حب الله والرسول صلى الله عليه وسلم وهذه بعض الأبيات من شعره:

<< وأباح طرفي نظرة أملتها ♦ فغدوت معروفا وكنت منكرا

فدهشت بين جماله وجلاله ♦ وغدا لسان الحال عين مخبرا >>[3]

في هذه الأبيات نجد ابن فارض يتغزل بالنساء، رغم أنه صرح بمنكر ما كان يفعله إلا أنه اندهش وأعجب بمالهن، ولكن في الأخير أدرك أن كل هذا من حسن خلق الإله، وقال في الأخير أن كل من يتمعن جيدا في كل ما خلقه عز وجل يعو إلى نفسه مهللا ومكبرا وموحدا له سبحانه وتعالى، ويكمن الرمز هنا في: تغزله بالنساء من جهة، وتدينه وحبه الله من جهة أخرى.

<< وعندما جاء العصر الحديث احتك العرب بالغرب، أحلوا آدابهم وعلومهم وما حققه الغرب من تطورات في الرؤية والتشكيل ولقد كان الشعراء يرتكزون على الأسطورة كرمز أساسي في البناء الشعري لهذا أصبح الرمز في القصيدة المعاصرة بنية أساسية إذ فتح مجالا واسعا للشعراء للتعبير عن كل ما يخالجهم من أفكار>>[4] فالشاعر العربي فضل الهروب إلى العالم الميتافيزيقي "ما وراء الطبيعة" لهذا لم يبقى أمامه سوى استدعاء التراث من خلال شخصياته وأبطاله من رموز دينية وتاريخية وأسطورية. ومن بين الشعراء الذين حاولوا الهروب من الواقع إلى ما وراء الطبيعة نجد: خليل حاوي، بدر شاكر السياب، نازك الملائكة، سعيد عقل، صلاح عبد الصبور وغيرهم، ولقد قسم شعراء هذا العصر في استخدامهم للرمز إلى قسمين:

منهم من يطلق الكلمة والعبارة ويطلق معها أيضا جوا من الإيضاحات والأضواء، مما يعل الرمز فيه واضحا، فمثلا نجد شعر "عمر أبو ريشة" الذي نظم قصيدة عنوانها: "بعد النكبة" وذلك بمناسبة هزيمة الجيوش العربية السبعة في فلسطين.

<< أمتي هل لك بين الأمم ♦ منبر للسيف أو للقلم

أتلقاك وطرفي مطرق ♦ خجلا من أمسك المنصرم

كيف أقدمت وأحجمت ولم ♦ يشنق الثأر ولم تنتقم

رب "وامعتصماه" أنطلقن ♦ ملأ أخواه الصبايا اليتم

لامست أسماعهم لكنها ♦ لم تلامس نخوة المعتصم>>[5]

فالشاعر استخدم رموزا كثيرة للدلالة على معنى ما، فمنبر السيف رمز للأمة المقاتلة ومنبر القلم رمز للأمة العالمية واستعماله "وامعتصماه" كرمز للاستغاثة.

ومنهم من استعمل الرمز بكثرة ونوع فيه بطريقة أو بأخرى مما يستعصي على القارئ تفحصه وفهمه بسهولة وفك شفرة هذه الرموز وهذا ما يتجسد لنا في قصيدة الشاعر اللبناني فاخوري:

<< هسهسات السنابل

صليل

في الهوى

ينبهي الرحيل

سين، سين، سين

سرساب أسود

عصفور يطير

يتبعثر في الريح

يولد

عند تجمع الأثير

---

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط1، دس، ص147، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص248، بتصرف.

[3] ديوان ابن فارض، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت: 1969، 257.

[4] المرجع نفسه، ص258.

[5] بكري شيخ أمين، المرجع السابق، ص163.

ويهوى الصعود
كلما هم
به
من النشوة
همى
النشوة ريش >>[1]

في هذه القصيدة رمز إلى الإنسان المضطرب نفسيا، والذي يعاني ويقاسي في الحياة بهسهسات السنابل، أي صوتها عندما تحركها الرياح، كما نجد قوله سرساب أسود بحيث رمزت إلى حياته السوداء المليئة بالمتاعب والمشاكل، بالإضافة إلى رمز عصفور يطير، وكأنه شبه حالته بالطائر الذي يحاول في الأعالي ولايدري أين مصيره.

ومن الملفت للانتباه أن الميزة الجامعة بين شعراء الحداثة أن قصائدهم مفعمة بالرموز الشعرية التي تجعل القارئ يسبح في موجة الخيال، مما تثير في نفسه عمق التأويل، فالبناء الفني للقصيدة العربية الحديثة يكمن في استخدامها للوحدة العضوية التي تعتبر السمة البارزة في الشعر العربي الحديث، مما تساهم في جمالية القصيدة.

3. أنواع الرموز:

في الشعر العربي الحديث، ينفتح على عدة أساليب وطرق من التعبير، يستخدمها الشاعر لإثراء المناخ الإيحائي للنص ودلالته، ومن بين هذه الأساليب الرمز الذي يعتبر ظاهرة فنية شاع استخدامها في عصرنا الحديث، حيث لجأ إليه الشاعر المعاصر ووظفه في شعره، قصد التلميح بالمحتوى بدل التصريح، وهذا ما جعلنا نعثر على توزيعات رمزية كثيرة منها:

أ- الرمز الطبيعي:

<< لقد استطاعت الطبيعة بسحرها وجمالها، أن تشد الشاعر إليها إذ جعلته يتخذ من عناصرها المختلفة رموزا وأقنعة في شعره وذلك من أجل ترجمة أفكاره، والتعبير عما يختلج في نفسه من عواطف وأحاسيس>>[2] فالطبيعة بجمالها الفياض، وسحرها الفاتن كانت ولا تزال الملجأ والمتنفس الوحيد لكثير من الشعراء حيث استطاعت أن تشد الناظر إليها وخاصة الشاعر، فاتخذها ملاذا رحبا بغية ترجمة أفكاره، والتعبير عن عواطف وأحاسيسه فكانت الكثير من عناصر الطبيعة من وديان وسهول، ومياه وجبال، وأنهار وغيرها من مسميات الطبيعة مجسدة في شعره على شكل رموز وأقنعة.

ولقد قسم "أمبرتو إيكو"Umberto Ico" العلامات إلى ثمانية عشر نوعا، منها العلامات الطبيعية، ويقصد بها ما في الطبيعة من شجر، وماء، وجبال ...الخ لكن الذي طغى على مساحة أكبر هي علامات ثلاث أشار إليها أمبرتو إيكو وأعطى لها دلالات مختلفة وهي: النخل، المطر، الصفصاف.

إذ نجد دلالة النخل مثلا في قول يوسف وغليسي:

<<هائم أنترب حنينا إلى خيمة.
أستجير بها من هجير المكان...
الرمال ارتوت من ذرى مقتلي.
وهذا النخيل نما فيدمي، وتهاوى على راحتي>>[3]

فالشاعر في هذه الأبيات يبدو هائما، يلفحه الهجير، لا ظل ولا ماء غير هذه النخلة التي نمت في دمه، فالنخلة هنا حلم، وحلم الشاعر هو أن يجار من الهجير، أي أن يبقى، فالنخلة إذن رمز البقاء والحماية.

ويقول في موضع آخر:

<< قرأت أبعادا في أكف شيوخنا ♦ لمحت جيوش البيت يجتاح أثبنا!
فنادينا، والريح هزت خيامنا ♦ هلّمي عسى في البيد نخل يوارينا >>[4]

فالنخل هنا جسده الشاعر، فاعتبره بمثابة الأصل الآمن والمستمر لذلك تمادى فيه ليبين تعلقه به وحبه له، وكذا ليكرس إصراره على الانتماء والبقاء، إضافة إلى دلالات البقاء والحماية والأمان يمكن للنخلة في كثير من الأحيان، أن تلبس رداء الوطن الذي يذكر الشاعر عزته وشموخه وكذا انتمائه، وافتخاره لوطنه، وهذه الدلالة الرمزية للنخلة نجدها مجسدة بكثرة في عدة قصائد لغرض تمتين الصلة بين الشاعر والوطن الذي ينتمي إليه.

بالإضافة إلى النخل ودلالته، هناك نوع آخر من الشجر ألا وهو الصفصاف، حيث أطلق الغربيون عليها تسمية رمزية وهي شجرة الدموع، ويقيم "وغليسي" في نصوصه علاقة بين الريح والصفصاف راميا إلى تجسيد نوع من الحركية الدالة على صراع ما، إذ يقول في إحدى قصائده:

<< ويرقم إعصار الزمان يرغمه ♦ صفصافي ستظل حلما مورقا >>[1]

---

[1] بكري شيخ أمين ،المرجع السابق ص65.
[2] إبراهيم الخليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن،2003، ص282.
[3] نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ط1، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، شارع مصطفى بوحيرد، 2003، ص104.
[4] المرجع نفسه، ص105.

ففي هذا البيت يبين لنا أن الشاعر تعامل مع الصفصاف كرمز بؤري تؤول إليه كل الرموز الأخرى، فهو يرى في الصفصاف حلمه الدائم والمستمر بالرغم من إعصار الزمان له
<< وهناك علامة أخرى من علامات الطبيعة، ألا وهي المطر، فقد اشتغل الشاعر "ناصر لوحيشي" ما يوحي به انهمار المطر في سياقات عدة وذات دلالات مفتوحة أولها إطفاء الظمأ حيث يقول:

ظمآن والمطر الوهمي يجرحني ♦ من ذا يقدم المحموم أشرابا >>[2]

فحضور المطر هنا وهمي، لا يطفئ الظمأ والعطش بقدر ما يزيد اشتعالا على عكس ما نجده في هذا البيت:

<< يا أول الغيث زد فالصيف أحرقني ♦ إن الملامح تبدي الأمان ما أصف >>[3]

ففي هذا البيت نلمس شوق الشاعر وتلهفه إلى المطر، وهذا يقصد الارتواء من ظمأ الحياة.
فهذه العلامات الطبيعية التي قسمها "إيكو" وجد فيها الشعراء مجالا خصبا للتعبير بها عن أفكارهم وأحاسيسهم، واتخذوها رموزا وأقنعة في أشعارهم.
<< فالشاعر المعاصر ألف أن يرمز للثورة والتغيير والخير بالمطر وللعبودية والتسلط بالقحط والجفاف، وأن يرمز للخواء الروحي والفقر المادي بالصحراء >>[4]. كما يأتي الرمز ليشكل مجالا واسعا لحركة الشاعر، حيث يجد فيه حرية أكثر لاختيار رمز ذاتي، فيضفي عليه تجربته الشعورية الخاصة الملائمة لواقعه وعالمه الذي يتمثل أمامه، << فيقوم الرمز الطبيعي معبرا آخر للشعراء لتوحيد ذاتهم بالعالم، فيعبر فيه مثلا على القمح للخصوبة والنماء، والبحر للمغامرة والمستقبل، والنار للثورة، والليل للحزن والمعاناة>>[5].
فالشاعر استخدم في شعره الرمز الطبيعي من أجل إخراج الطاقات الكامنة والمختزنة في داخله، حيث تمكن من نقل أفكاره والتعبير عنها بكل حرية وأمان، فيشحن ذلك الرمز بحمولات شعورية وفكرية جديدة، ويعبر عنها بدلالات مختلفة ومتعددة، تعكس تجربته الشخصية باستبطانه لطاقات هذا الرمز الطبيعي.
فالشاعر العربي المعاصر لجأ إلى توظيف الرمز الطبيعي ليس عبثا وإنما محاولة منه لتفجير طاقاته المتحجرة في داخله، والتحرر من القيود والضغوط المفروضة عليه، ولهذا أعد هذا النوع من الرموز الأكثر تأثيرا في النفوس لما يشتمل على حدود مفتوحة ودلالات متناهية.

ب- الرمز الأسطوري:

<< الأسطورة "Mythe" قصة مركبة من عناصر إلهية خالصة، ون أساس تاريخي، غير أنها اتخذت في المفاهيم المعاصرة معنى يقوم وسطا بين الأسطورة والقصة الشعبية ذات الأصول التاريخية، ولقد استعان الشاعر المعاصر بالأسطورة كإطار رمزي دال، كلك محاولة منه لتفسير ما يستصعب فهمه على الإنسان من ظواهر كونية، تفسيرا يقوم على مفاهيم أخلاقية وروحية، بالإضافة إلى الوظيفة الأخلاقية التأثيرية، الأدبية الأسطورة، لها وظيفة أخرى وهي وظيفة نفسية ترتبط بأحلام البشر وميولاتهم وتصوراتهم الرمزية، وتومئ إلى تجارب الإنسان النفسية في الحياة >>[6]. فالأسطورة هي محاولة الإنسان القديم، فهم الكون بظواهره المتعددة، وإيجاد تفسير لنظام الكون في وقت كان فيه عاجزا عن إدراك القوة الكامنة وراء تحريكه لذا ارتكزت الكثير من الكتابات الشعرية لدى بعض الشعراء، وبنوا تجاربهم الشعرية على أنواع مختلفة من الرموز الأسطورية والخرافية ومثلوها في أشعارهم للتعبير عن رؤاهم ووجهات نظرهم وتجاربهم النفسية في الحياة، فكلمة أسطورة وردّكرها في القرآن الكريم، لكن بصيغة الجمع وذلك في قوله تعالى:﴿ **إذا تتلى آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾ سورة المطففين، الآية13. ففي هذه الآية الكريمة يخاطب الله سبحانه و تعالى القوم الذين يرجعون كل ما ورد في القرآن الكريم أساطير وأباطيل وخرافات.
لقد تعددت استعمالات الرمز الأسطوري، بتعدد تجارب الشاعر حيث استعان بها، للتعبير عن تجربته الشعرية فقد أصبحت اللغة في تداولها اليومي مستهلكة ومألوفة وهذا ما أفقد الصورة الشعرية قدرتها على إدهاش القارئ بعلاقات جديدة، وهذا ما ذهب إليه الدكتور "رجاء عيد" في قوله << قد يكون استعمال الرمز الأسطوري الرامزة بمثابة منجاة للأداء اللغوي، يستبصر فيه صاحبه بواسطة التشكيلات الرمزية، إمكانات خلق لغة تتعدى وتتجاوز نفسها>>[7]. فالتعبير المباشر بواسطة اللغة اليومية المستعملة تفقد القارئ متعته وتذوقه لتلك الصور الشعرية كونها تخلوا من الإيحاءات والدلالات المفتوحة التي تجعل القارئ يكتشف أسرارها ويفك رموزها.
<< وقد تضمن هؤلاء الشعراء قصائدهم بأساطير متنوعة، واتخذوها كرموز مقنعة في شعرهم منها الأساطير البابلية القديمة مثل: "تموز" و"عشتار" أو الشخصيات الأسطورية كشخصية "سيزيف" وهي من الأساطير اليونانية القديمة، فقد عوقب عقابا شديدا من طرف الآلهة، حيث كلف بحمل ورفع صخرة كبيرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، ولكن

---

[1] المرجع نفسه، ص107(بتصرف).
[2] نسيمة بوصلاح،المرجع السابق، ص108.
[3] المرجع نفسه، ص109.
[4] إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص232.
[5] إبراهيم رماتي، الغموض في الشعر العربي الحديث، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، دس، ص280.
[6] نسيمة بوصلاح،المرجع السابق، ص112، 111.
[7] رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص369.

محاولاته باءت بالفشل في كل مرة، فكان كلما أوشك بلوغ القمة، تنحدر الصخرة إلى الحضيض وبذلك عد رمزا للمعاناة والشقاء الدائم>>[1] لكن نجد بعض الشعراء استهوتهم فقد هذه الأساطير ،فأقحموها في كتاباتهم، مما فتح القصيدة العربية الحديثة على حشد هائل من الأساطير المتنوعة من بابلية (عشتار وتموز) وعربية (زرقاء اليمامة) وهذا ما جعل بعض القصائد تمتاز بالغموض والإبهام.

ومن الأساطير التي اتخذها الشاعر كرموز في شعره نجد: "السندباد" ورحلاته، وحديثا مقتضيا اشاريا عن العنقاء، وبشكل عام عن البعث << ففكرة الموت والانبعاث سيطرت على معظم الشعر العربي حيث نجدهم يبحثون عن رموز الخصب والنماء، والحياة في الثقافة القديمة ووجدوا ضالتهم في أسطورة العنقاء>>[2]. فشخصية "السندباد" معروفة في التراث العربي القديم والتي اتخذت رمزا للسفر والترحال، والكشف عن المجهول، رغم ما تحمله الرحلة من عناء ومغامرة وكذا أسطورة "العنقاء"[3] التي ترمز للموت الذي يعقبه الأحياء أو الولادة من جديد ويتحول الحزن والموت إلى ميلاد.

نجد عند شعراء آخرين بعض الإشارات إلى الغول، حيث يستعيرون من الذاكرة الشعبية هذا العنصر ويلبسونه دلالات متنوعة على حسب السياق الذي يرد فيه، فهو رمز الظلم والطغيان والاستبداد والقهر فينوعون في استحضاره في مختلف قصائدهم، أشكال الشر والترهيب.

<< ولقد اعتبرت الأسطورة بمختلف أنواعها، كرمز أساسي في بناء القصيدة الشعرية وأصبحت بنية أساسية لها>>[4]، ومن خلال ما ذكرناه، نلمس مزج الشاعر المعاصر في رموزه بين الأساطير العربية القديمة المستوحاة من التراث العربي الغابر، والأساطير الغربية الإغريقية فالأسطورة وما تحمله من دلالات مختلفة ومتباينة تبقى من الرموز الأساسية في بناء الأعمال الشعرية ودعامة مهمة لها.

ج- الرمز الديني:

إن محاولات الوصول إلى مشارف الرمز الديني عند الشعراء تراوحت بين قصص الأنبياء عليهم السلام، وسور القرآن الكريم، وبعض الأماكن ذات الدلالات الدينية << فنجد كثيرا من الرموز المستنبطة من الكتب السماوية، والتي تلقفها عدد كبير من الشعراء المعاصر وضمنوها في كتاباتهم منها: قابيل وهابيل، المسيح والدجال، وأهل الكهف، وبخاصة قصص الأنبياء والرسل، كقصة سيدنا يوسف، وعيسى وموسى وأيوب بالإضافة إلى قصة خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، وكل هذه القصص تحمل قيما روحية ودينية جديرة بالإقتداء بها >>[5].

فالشاعر المعاصر، تشبث واهتم بالدين، وأولاه عناية بالغة منذ القدم فأخذ ينهل منه رموزا، ويوظفها في شعره فمنها ما كانت مستقاة من الكتب المقدسة كالقرآن الكريم، والإنجيل والتوراة، ومنها المستوحاة من القصص القرآنية وبعض الأماكن الدينية.

<< فنجد بعض الشعراء في توظيف قصص الأنبياء، يكفون على قصة سيدنا يوسف عليه السلام يستلهمون أجوائها، فهي من أكثر القصص القرآنية تأثيرا في نفوس البشر، فهي رمز للطهارة والعفة والنقاء، أما السور القرآنية فقد لجأ إليها الشعراء ووظفوها في أشعارهم، باعتبار أن النص القرآني، هو النص الوحيد الذي يحمل من الأبعاد اللامحدودية للحياة وللإنسان معا>>[6] فهذه القصص القرآنية والسور اقتبسها الشاعر من التراث الديني ووظفها في أشعاره قصد إضفاء البعد الديني والروحي من خلال صوره القداسية التي تحمل دلالات غنية بالقيم السمحة.

<< ولم يقتصر الشاعر المعاصر في استخدامه للرموز الدينية، التي كان يقتبسها من تراثه الديني فحسب، بل تأثير بالديانات الأخرى، ووظفها في قصائده بحيث ظهرت جليا على شكل إشارات قرآنية ساهمت في تكسير غنائية ودرامية التجربة الشعرية، فجاءت رموزه الدينية متنوعة وثرية فوجد في الدين وجها آخر من وجوه المقاومة، والتعبير وتحقيق الحرية والأمن لذلك نجده ربط بين الدين والثورة، وبين الدين والكفاح من أجل المستقبل الإنساني>>[7]. فالدين قوة داخلية تسيطر على كيان الفرد ووجدانه، وذلك من خلال صوره القداسية، لذا، نجد الشاعر يستلهم رموزه من التراث الديني، وكذا من الديانات الأخرى، بغية ترجمة أفكاره وعواطفه، والتعبير بها في قوالب فنية مختلفة، وهكذا فالرمز الديني أقوى الرموز تأثيرا في حياة الإنسان كونه المصدر الروحي، والفيض الرباني الذي من شأنه أن ترتقي البشرية إلى أرقى وأسمى قيمها.

د- الرمز التاريخي:

---

[1] إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص234، بتصرف.

[2] نسيمة بوصلاح، المرجع السابق، ص113.

[3] العنقاء: طائر أسطوري خرافي مهول، ذو أجنحة مضاعفة، يترصد المعزولين في الصحراء، ويخطف الصبية ويطير بهم في السماء ليفترسهم.

[4] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط3، دار العودة ببيروت، 1981، ص195.

[5] نسيمة بوصلاح،المرجع السابق، ص117، بتصرف.

[6] المرجع نفسه، ص118، بتصرف.

[7] رجاء النقاش، محمود درويش، شاعر الأرض المحتلة، دط، دار الهلال، مصر، ص280

<< يعتبر التراث قوة كامنة ومؤثرة في أية أمة من الأمم، لا يمكن فصله وسلخه عن الحاضر، كونه يحمل –التراث- في طياته أبعادا روحية وفكرية عظيمة >>[1]، ولأجل هذا عكف الشعراء المحدثون، الأخذ على عاتقهم مهمة العودة إلى التراث والاغتراف من مصادره، وذلك باستلهام نماذجه وشخصياته وكذا الاقتباس من مختلف منابعه وأصوله من الزمن الماضي التاريخي، لما يحمله من قيم روحية وفكرية.

<< والمقصود بالرمز التاريخي توظيف الشاعر بعض الأحداث والمواقف والشخصيات التاريخية التي يستمدها من تراث أمته الحافل بالبطولات، أو من التراث العالمي وربطها بأحداث واقعية، ومواقف معاصرة، حيث يقوم باستعارتها من سياقها في الماضي، ويدخلها في شعره تصريحا أو تلميحا، لفظا أو معنى، ويحملها في ذلك السياق دلالات جديدة ومعاني أخرى>>[2] فالشاعر يستلهم من تراثه القديم، بعض النماذج التاريخية، بالإضافة إلى الشخصيات التاريخية ذات الأبعاد التاريخية، فيعبر بها في شعره، ويشحنها بدلالات ومعاني جديدة ضمن سياقا التاريخي.

<< وقد استخدم الرمز التاريخي من طرف الشعراء لأغراض فنية وحضارية، على اختلاف فيما بينهم، من حيث التركيز والدقة، والاستفادة من رموز التاريخ العربي والإسلامي والعالمي، فهو يعبر عن تجربة إنسانية واسعة، حاضرو وأزلية وذلك حسب قدرة الشاعر التعبيرية، كما كان الغرض منه أيضا إقامة علاقة تواصل بين الماضي والحاضر>>[3]، فقد استخدم الشعراء الرمز التاريخي للتعبير عن تجاربهم الإنسانية الواسعة، كل حسب قدرته التعبيرية، وذلك لأغراض فنية وجمالية فجاءت كتاباتهم متفاوتة ومختلفة من حيث الدقة والجودة، كما خرج عن أغراضه المذكورة إلى غرض أكثر قوة وإيحاء، وهو إقامة علاقة تكامل وهمزة تواصل بين الماضي والحاضر.

<< فالتاريخ بذلك يعد من بين المصادر التي استمد من الشاعر رموزه، وذلك ليعبر بها عن الأشياء التي يريدها، وذلك باستغلال ما توفر له من التراث، فالرمز التاريخي أصح يقيد الدرامية الموضوعية، وتأليف مناخ لا تاريخي شبه أسطوري، يعبر عن رحابة الخيال وشمولية التجربة وموقف الرفض للتاريخ الحاضر، والسعي نحو استرجاع تاريخ هارب من الماضي هو وجه آخر آت في المستقبل لكن حضور التفاصيل وتقارب الأصل والقناع، يضعف كثيرا في درامية القناع وقيمته الفنية>>[4] وعلى هذا النحو نجد مثلا الشاعر "صالح سويعد" يقول في الأوراس:

<< أوراس أي وطن اللاّلا ...
أبدا ... لن ... لا
كلا ... أصغر
يا كعبة حبي الأسمر>>[5]

في هذه الأبيات يقترن الشاعر الأوراس بالرفض باعتباره أول من رتل آياته في الثورة التحريرية الكبرى، فيستحضره الشاعر مستخدما دلالته هذه غير ذاهب بعيدا.

فالتاريخ شاهد على الأوراس إبان الثورة التحريرية الكبرى حيث تركت وقعا لا يمحى من ذاكرة الشاعر لذا استمده من التراث القديم ووظفه في قصيدته، << كما نجد أيضا استخدام "أدونيس" للشخصية التاريخية عبد الرحمن الداخل، صقر قريش، يقول:

والصقر في متاهة ... في بأسه الحلاق
بيتي على ذروة في نهاية الأعماق
أندلس الأعماق>>[6]

في هذه الأبيات استخدم الشاعر شخصية عبد الرحمن الداخل ليعبر من خلاله شوق الفنان المعاصر إلى تغيير واقعه.

ومن هنا نجد أن الشاعر المعاصر في استعماله للرمز التاريخي لم يقتصر على الشخصيات التاريخية فحسب، كشخصية" صلاح الدين الأيوبي" و"عبد الرحمن الداخل" و"الحجاج بن يوسف الثقفي" بل استخدم شخصيات أدبية اسمها بقضايا كثيرة ومعينة ك:<< "عنترة العيسي" و"الزير سالم" و"المتنبي" وغيرها من الشخصيات الأدبية اللامعة>>[7] فالشاعر المعاصر زاوج في استخدامه لهذه الرموز التاريخية بين الشخصيات التاريخية والأدبية التي احتلت مكانة رفيعة في التراث القديم.

<< فتوظيف الشاعر للتراث يحقق هدفين اثنين -على حد تعبير- الدكتور "علي عشري زايد" أحدهما اكتساب تجربة غنى وأصالة، بالرجوع إلى تراث أمته، ذلك أن التراث مخزون وحي في وجدان الأمة والغرض الثاني هو أنه لم يحصر تجربته

---

[1] محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك البياني)، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، 2003، ص151، بتصرف.

[2] عثمان حشلاف، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر (فترة الإستقلال)، دط، منشورات الجاحظية، الجزائر، 2000، ص65، بتصرف.

[3] عثمان حشلاف،المرجع السابق، ص65.

[4] إبراهيم رماتي،المرجع السابق، ص278.

[5] نسيمة بوصلاح، المرجع السابق، ص141.

[6] الآثار الكاملة لأدونيس، دط، دار العودة، بيروت، 1979، مجل2، ص25.

[7] على عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص16، بتصرف.

في زاوية ضيقة، بل انطلق بها إلى آفاق رحبة بتخطيه لحدود البلدان وسيطرة اللحظة الراهنة >>[1]، فالتراث كما ذكرناه من قبل قوة ذاتية كامنة في أية أمة، وبه يتم التفاعل بين الماضي والحاضر.

فالرمز التاريخي إن لو يوظف توظيفا ذات بعد تاريخي وفني، يكون خادما للموضوع، ويحقق العلاقة والتكافؤ بين الرؤية الذاتية والموضوعية التاريخية، لن يكون سوى رمزا عابرا، سرعان ما يذوب في بنية القصيدة، ويصبح جزءا من عناصرها.

نبذة عن حياة سي محند أومحند:

ولد سي محند أومحند بين 1840 و1845 في إشرعون على قمم آثييراثن قرب تيزي راشد أين وجد أبوه محند أمزيان أيت أحمدوش المأوى والحماية المناسبين، وقد سلبت كلّ أراضيهم من قبل الجنرال "راندون" الذي بنى عليها برجا أطلق عليه اسم "Fort Napoléon" ثم بعد ذلك "Fort National " وحاليا لربعا ناثييراثن " Larbaa Nath Erathen" وعوّض الذين أخذ منهم الأراضي بأراضي أخرى في زاوية "تشعيت" " Tachailt" وبالتالي استقرت عائلته في سيدي خليفة.

وعندما فتح خاله مدرسة تعلّم أمحند القراءة والكتابة باللغة العربية، وآياته القرآنية الأولى وتعمّق في دراسته في زاوية عبد الرحمان أولان " Haulen ".

وفي سنة 1871 انفجرت مقاومة الشيخ الحداد والمقراني وتفرّعت وعرفت اتجاهات كثيرة لكنها عرفت تصدّي عنيف. قتل أب الشاعر بالرصاص في For Nationnel أمّا خاله نقل إلى كليدونيا الجديدة، وخاله الثاني هرب إلى تونس، فحجر على ممتلكات العائلة كلها. محند هو الآخر حكم عليه بالإعدام لكن أفرج عنه لان قتله غير مجدي لهم.

قضي على القرية بأكملها وسكانها تفرقوا عبر قرى القبائل الأخرى والبعض الأخر تنقلوا إلى المدن الكبرى مثل: عنابة، تونس أمّا الأخ الأكبر لمحند ذهب إلى تونس بما تبقى من ثروة أبه[(2)].

الموت والمنفى جعلوا من الشاعر وحيدا، ولقد كان هناك شيء غريب دفعه إلى البحث أصبح غير مستقر وكثير التنقل من مكان إلى آخر، ولكن من بين الأماكن التي دفعته طبيعته غير المستقرة للتردد غليها كثيرا كانت عنابة.

عاش بحرف صغير كإعداد وجبات سريعة مع أبه، كاتب عمومي باللغة العربية في المناطق المحيطة "بالحموزية" أو بيع المأكولات الخفيفة عند إقتراب وقت استلام العمال لأجورهم، ما عدا هذا فقد كان يفعل كل ما يرغب فيه: الشرب في حانات، الحشيشة والكوكايين ويتبع كل الحبوب التي تدفعه إلى السّكر.

حسب مولود معمري أصيب بمرض في رجليه ودخل مستشفى Des soeuvers Blanche في ميشلي 20 ديسمبر 1950، وتوفي بعد أربعة أيام من ذلك في 28 ديسمبر 1950 ودفن في "إسقيف نتانة" وهو مكان في منطقة "آيت سيدي سعيد أو طالب" بجوار عين الحمام حسب "دراب محمد أورمضان" – باحث في الأدب الأمازيغي.

كما تؤكد العالمة الاجتماعية "تاسعديت ياسين" أن قدره المحطّم لم يكن سوى إنعكاس لقدر جماعي[(3)].

---

[1] المرجع نفسه، ص16.

([2].) Achour Cheurfi, Ecrivains Algériennes, Los, Said Hamdine, hydra, 16012, Alger, Algérie, P314, 315.

).[3](Achour Cheurfi, Ecrivains Algériennes, P315.

من السمات التي اتسمت بها النصوص الشعرية القبائلية البساطة والوضوح، لكن هذا لا يعني الجزم عليه بذلك، بحيث نجد فيه صورا شعرية رامزة ذات صيغ تعبيرية موحية فالشاعر القبائلي استعمل الرمز كوسيلة تعبيرية، فنية، لإيصال أفكاره ومشاعره وأحاسيسه إلى المتلقي بطريقة غير مباشرة وهذا ما نجده عند الشاعر القبائلي "سي محند أومحند" فأشعاره كنز ثمين وقديم وثرية بالألفاظ الموحية وبألوان الرموز المختلفة منها:

أ- الرمز اللغوي:

وهو الرمز الذي يستعمل على مستوى مفردة واحدة بحيث يوظفها الشاعر توظيفا فنيا رامزا يعطيها معنى مغايرا لدلالتها الظاهرة، ويمكن أن يكون ذلك احتشاما منه مثلا في وصفه العالم الحسي للأنوثة، وقد تطرق للرمز اللغوي العديد من النقاد والدارسين، فالدكتور محمد جلاوي عرفه في قوله: <<الرمز اللغوي يعد الأنماط الأكثر شيوعا إذ يلجأ الشاعر إليه غالبا كتعبير عما يتعذر فيه التصريح والقول المباشر مثل وصف العالم الحسي للأنوثة وما يثير في النفس من نزوات وغرائز ويتسم من حيث الجانب الفني ببساطة الإيحاء وسهولة التناول وقرب المأخذ إلا أن هذا النوع من التعبير الرمزي قد شهد عهدا تجديديا واسعا إذ أصبح يكتسي طبيعة غنية ومثيرة وأبعادا إيحائية ظليلة مبتكرة>>
فالشاعر التقليدي يستطيع خلق الجو الرمزي الذي يقوم من خلاله بإيصال مشاعره للمتلقي، فاستعملوا ألفاظا مختلفة مثل: الحجلة Tasakkurt، الأسد Izem، الخوخ Alxox وفي هذا الصدد يقول سي محند أومحند:

Albaɛd tefka-as lerzaq قد وهبت البعض رزقا
Kul lgiha ixerrq أينما قد سار يلقى
222 Tasekkurt deg gwaxxam-is حجلة زانت حماه
Terri-t il emcaq albaɛd بعضهم قدرت يشقى
À zzelt u leɛcaq كثرت زلاته وازداد عشقى
Yusad d l$ayeb rray-is[1] مع رأيه في شرود

في هذه المقاطع وظف الشاعر لفظة Tasakkurt الحجلة بطريقة فنية موجبة بحيث جسدها بمثابة المرأة المتزوجة الصالحة الحريصة على سمعة زوجها وحرمته بالإضافة إلى دلالة العيش الأمن للرجل الذي حرم منه الشاعر، فالحجلة معروفة في البيئة القبائلية بهدوئها وجمالها.
وقد hستعمل لفظة Tasakkurt في موضع آخر رمزا للمرأة الجميلة التي تتميز بالصفاء والنقاء وذلك في قوله:

Sɛi$ Tasekkurt tukyist عندي حجلة أنيقة
Lqut-is dabsis أكلها الزبيب
Tissit-is d-aman nzher[2] شربها ماء الزهر

ففي هذه المقاطع أعطى لها بعدا دلاليا مفتوحا يعكس رؤيته اتجاه هذه المرأة التي كانت العلاقة بينهما هشة، لا تدوم طويلا بسبب الأعداء الذين يحيطون به، حاقدين عليه كما نجده أيضا يجسد رموزا أخرى مستوحاة من رؤيته للجمال الحسي للمرأة بحيث عبر في قالب رمزي شخص فيه معنى "إيفيرس" "Iferess" في قوله:

Dahbiya segmi iferes ذهبية نضج الإجاص
Yeg gamen wehd-es الذي نمى وحده
Am unebdu am ccetwa[3] صيفا وشتاء

فأعطى لهذه اللفظة بعدا دلاليا يتمثل في مفاتن المرأة العذراء وذلك بغية إيصال خطاب فني في ثوب إيحائي مستتر لتعذر التصريح، واستعمل لفظة الكلب ،والأسد والباز في قوله:

Ihzen Lbaz iferret حزن الصقر
Izem yewqaɛ di tcerket ووقع الأسد في الفخ
Aqjun lat itett. و الكلب يأكله
Atzitun Kesben camla[4]. أصحاب الزيتون ملكوا كل شي

حيث أراد من هذه المقاطع توصيل رسالة متمثلة في الصراعات والاختلافات المتباينة السائدة في مجتمعه، فاستعمل لفظتي الباز (الصقر) وIzem (الأسد) التي ترمز إلى الرجل الشجاع الجريئ وإذا أمعنا النظر جليا في هذا المقطع، تتراءى لنا بوضوح صورة إيحائية عبرت عن اختلال التوازن في المجتمع القبائلي وذلك في الشطر الثالث الذي أعطى فيه لكلمة Wakli معنا فنيا يرمز إلى انحطاط الشرفاء وارتفاع الأراذل، فأقل منه شأنا أصبحوا أفضل منه، في هذا المجتمع الذي ينكر لأي أحد تغلب عليه الأيام وهذا حال شاعرنا منذ مصادرة أملاكهم جميعا من طرف الاستعمار.

---

[1]. larab muhend u radan, isefra n si mu\end, ed, Tizi Ouzou, P48.
[2]. mouloud mammeri, les isefra n si muhend umhend, P168.
[3]. larab muëendu ramva,op,cit, P50.
[4]. mouloud mammeri, op,cit, P168.

ويمكن أ نقول أن الرمز اللغوي قد احتل مساحة واسعة في قصائد كثيرة عند "سي محند أومحند" حيث وظفه الشاعر للتعبير عن آرائه وأفكاره، وكل ما يختلجه، وهذا عن طريق صور رمزية موحية، ذات أبعاد دلالية مفتوحة تعكس رؤيته للحياة والكون وحالاته الشعورية المحطمة بفعل الحرمان العاطفي سواء العائلي أو الغرامي وكذلك هموم الحياة وصعابها.

ب- الرمز المجازي:

إن واقع الشاعر القديم هو واقع حياته التي يعيشها وما مر عليه من أحداث سواء كانت سعيدة أو حزينة، وهذا الواقع بكل ما يزخر به من أفكار وأوهام، وذكريات متمة في ذهن الشاعر، تنطلق من خلال العمل الشعري، وترتدي أشكالا رمزية تخفي أصولها ومن هذه الرموز "الرمز المجازي" الذي يعتبر من الأساليب التي تداول عليها الشعراء، بحيث يعبر الشاعر عما يختلجه بطريقة غير مباشرة بواسطة أدوات منها الاستعارات والكنايات والتشبيهات بطريقة إيحائية.
ويتجلى الرمز المجازي في شعر سي محند أومحند في كثير من قصائده، التي تترجم من خلاله معاناته في الحياة وفي هذا الصدد يقول الشاعر:

زهري الذي أصبحت في الرصيف	Assaɛd-iw yeqlen di rrif
تساقطت كالخريف	Te$lid-d am lexrif
وتضاربنا على الأرض	Nennemder deg lqaɛa[1]

في هذا المقطع وظف الشاعر لفظة الخريف"Lexrif" بطريقة فنية تجعلنا نلمس معاناة الشاعر وإحساسه العميق باليأس والفجيعة، بحيث شبه همومه التي تنهال عليه كسقوط الأوراق في الخريف حتى أصبح يتمرغ في الأرض وذلك في قوله:

Nennemder deg lqaɛa

كما نستشف تحسر الشاعر على الماضي السعيد والصداقة المزيفة التي تنهار لأخف ريح يعترضها في المقطع الآتي:

الآن استندت على القصب	Tura mi sennde$ suffal
سعدي مال	Zzehriw imal
أه على الأيام التي مرت	Yehetrah $ef zik enni[2]

هنا تظهر صورة الشاعر التي تعاني من الآهات ولخيانة وليس من خيانة الزمن فقط بل من خيانة الذين كان يعتبرهم أصدقاء وسند له في الحياة وذلك في قوله:Tura mi sennde$ suffal

بحيث مثل الصداقة الهشة بنوع من النبات الهش فهي كناية عن الصداقة ذات الأساس الضعيف، فزمان الصداقة انتهى في نظره، ثم في الشطر الذي بعده يتحسر عن الزمن الماضي الذي لم يعد سوى ذكريات، وما بقي منه ليس سوى حطام مبعثر.
والحرمان الذي عاشه الشاعر في الجانب العاطفي جعله لا يحس إلا بالحزن والأنين وهذا ما يتجلى في قوله:

نصحتك يا قلبي	Recde$k a lqelb ttaf
ابتعد عن النساء	Barkak sut llhaf
فإن نهر الزهو قد جف	Ma dasif n zzhu yeqqur[3]

ففي هذه المقاطع يخاطب قلبه الضعيف ويحثه على الاكتفاء وعدم الالتفات إلى النساء sut llhaf وذلك في استعارة رامزة إلى فقد الحس العاطفي لديه، فشبه القز الذي لديه بالنهر الجاف، ومن خلال هذه الصورة تهر براعة الشاعر في ربط الطبيعة بمعاناته، فحياته القائمة على الترحال جعلته يلتئم مع الطبيعة وعناصرها.
فشاعرنا "سي محند أومحند" ذاق أنواع العذاب المعنوي من صغره مرورا بشبابه وصولا إلى أيامه الأخيرة. وقد تناول الشاعر رموزا تعكس حالته المليئة بالهموم جراء هذه المعاناة التي مرت عليه في الماضي يعتبره شبحا يطارده ولا يفارق مخيلته وذلك في هذا المقطع:

بكى القلب وهو معذور	Itru wul maadur yek xas
على الذي مر عليه	A gaadan Fellas
تعذب كلما تذكر	Ijreh ma ara ditfekkir[4]

هنا الشاعر صور موقفا من الماضي، وما يحمله من ذكريات أليمة وذلك من خلال صورة رمزية عبارة عن استعارة حيث نسب البكاء إلى القلب الذي يعتبره الشاعر الصديق الوحيد الذي يشاركه الذكريات وجروحه العميقة، وقد جعل في هذه الصورة القلب يبكي بدل العين لدلالته على هول وقوة ما خلفته الذكريات عنده، وذلك عندما قال في الشطر الأخير: Ijreh ma ara ditfekkir.
فسي محند أومحند في هذه المقاطع في صدد الدلالة على الحسرة والوجع والألم، وهذا كله ناب من داخله.

---

[1]. larab muëendu ramdan,op,cit P20.
[2]. mouloud mammeri, op,cit, P116.
[3]. mouloud mammeri, op,cit, P116.
[4]. ibid. p 220.

كما صور الشاعر صوبة العيش مع الذين كانوا في قريته بعد وضع الاستعمار أيديهم على كل أراضي عائلته وقتل أبيه، ونفي أخيه ففضل الرحيل والغربة على ذلك في قوله:

كتبت الغربة علي	L$erwba tura g wqerru
ففضلتها	Welleh an-d annfur
على النهاية بين الخنازير	Wala laɛquba $er yilfan[1]

من خلال هذه المقطوعة الشعرية نلمس إحساس الشاعر بقساوة ما هو آت في حياته، فهو في حالة يأس من كل ما بحوله، وقنوط من الحياة، فاستعمل صورة فنية رامزة ذات أبعاد دلالية موحية (استعارة تصريحية) بحيث شبه الذين حوله بالخنزير"Ilef" الذي ينهب كل زرع يجده أمامه، فالشاعر ود أن خلاصه يكون بالغربة عن بلاده التي ولد فيها وعاش طفولته، على أن يعيش بينهم.

لذلك انطلق في رحلته باحثا عن الأهل والسعادة "Thalwit" في مكان آخر حتى يرتاح من كل هذه المعاناة التي ملأت حياته، فأصبح يعيش في حل وترحال حتى لقب "بالجوال"

وجسد الشاعر في قصائد أخرى رموزا لدلالة على الكبر والإخبار عن مجيئه، وعن اتضاح اليوم المجهول الذي سيكون خاليا أكيد من المتعة واللهو فهو يحس بقرب اليوم الذي سيخلد فيه المرء إلى الراحة والتأمل-الموت- وذلك في قوله:

هاقد تعبت رجلي	Atay udar-iw yerka
فقد أكلتها الديدان	Teççat twakka
كل يوم يصعب عليها	Kulyum d zzada Fell-as.
غابت عنها الحركة	Tfuk ssgi ttehrika.
دخلت في شبكة	Kecmme$ di ccuka
أصبح الشهر علي سنة	Ccher felli d aseggas
وضح طريق الغد	Iban ubrid sezkka
أنا والزهو افترقنا	Nek dzzhu berka
من كان صاحبي سامحته	Wi-llan dahbib summeh$-as[2]

ففي هذه المقاطع شاعرنا "الجوال" لم يعد قادرا على التنقل من مكانه فقد هرم ولم يعد شابا كما أن الوقت ثقيل المرور أصبح الشهر سنة لديه.

والرمز الذي استعمله هنا كناية عن الانحصار في زاوية الشيخوخة في الشطر الأول، فشاعرنا هنا يتحسر على عدم قدرته مواصلة دربه في البحث عن السعادة.

فقد آل مشواره إلى النهاية، ففي الشطر الثامن والتاسع صرح بانقطاع وصال المدح واللهو عنه، وطلب السماح من كل أحبابه –إحساسه بقرب النهاية-.

ويظهر من خلال إطلالتنا على الرمز المجازي أن سي محند أومحند أعطى أهمية كبيرة له حيث اتخذه وسيلة فنية في عملية تصويرية وذلك لأن اللغة العادية ليست قادرة على تصوير وشمولية تجربته في الحياة.

أ- الرمز الكلي:

إن أول ما يلفت الانتباه في الشعر العربي القديم، هو تعدد القصائد التي تتحدث عن المرأة والحب لأنهما يمثلان عاطفة إنسانية خالدة، وهذا ما يعرف بغرض الغزل الذي يعتبر من أصدق الفنون الشعرية، لأنه تعبير عن عاطفة صادقة يصور مالا تصوره الأغراض الأخرى، فهو يهدف بالأخص إلى زعزعة عاطفة الفرد، وهذا لا نجده فقط في الشعر العربي بل حتى عند شعراء القبائل وهذا ما عرفت به قصائد "سي محند أو محند" المعروفة باسم "عندي روضة" فقد عمد شاعرنا إلى وصف النساء وعلاقاته بهن بصورة إيحائية، أي بطريقة غير مباشرة. وهذه القصائد تندرج ضمن ما يسمى بالرمز الكلي الذي تتحول فيه القصيدة صورا إيحائية من البداية إلى النهاية فشاعرنا "سي محند أومحند" بالإضافة إلى المعاناة التي مر بها في حياته، عرف أيضا الحرمان العاطفي بحيث كانت لا تكتمل له فرحة مع امرأة ، وذلك بسبب الوشاة والحساد المحيطون به وفي هذا الصدد يقول:

غرست بستاني باختيار	Zzi$ legnan slexetyar
فبه النوار جار	Qwan deg-s lenwar
ومن الأشجارضم ماندر	Skri-d dekkiren yelsawen
مذهب الأعناب أحمر	Laɛnab lehmer waɛmer
خوخه يشبه العنبر	Lexux am lɛanber
حبقه يشبك ورده	Lehbeq d lwerd malalen
أسفي طال عمري	yak nedder $wezzif laɛmer

---

[1].ibid.p152..

[2]. mouloud mammeri, op,cit, P460.

حتى أنه بمحضري	Alarmi nehder
أكلته الماشية	Ksan-as imeksawen[1]

في هذا المثال يطلق الشاعر عنان قارئه للبحث عن مدلول هذه القصيدة، مما يجعل نصه قابلا لتأويلات عديدة، لأنه غني بالرموز التي استقاها من الطبيعة، وهذا لعلاقته الملتحمة بالطبيعة، وذلك يعود لحياته القائمة أساس على الترحال، ففي المقطع الأول أعطى للفظه Legnan (الروضة) صورة رامزة موحية إلى المرأة وحسن جمالها، فالروضة معروفة بالاخضرار والمنظر الجميل، فأسند هذه الصورة إلى الجمال الأنثوي.

ثم ينتقل في المقطع الثاني إلى وصف لهذا الجمال حيث قام بانتقاء ألفاظ ذات أبعاد دلالية موحية: Laaneb، Lexux، Lehbeq.

ومن خلال هذه الألفاظ تظهر براعة الشاعر في الربط بين المدركات الحسية والمعنوية، فهذه الخيرات ترمز إلى اكتمال النمو الحسي الأنثوي لدى المرأة، أما المقطع الثالث فنجد النبرة الحزينة واليأس التي تنم عن إحساسه العميق، بفاجعة الهجران، فهذه الروضة وتلك الخيرات التي تزخر بها أكلها الرعاة imekszwen، فهذه الكلمة هنا ترمز إلى الإنسان الذي يأكل ما ليس له، والصورة الإيحائية الكلية لهذه المقاطع هي الفتور والجفاء العاطفي.

وهذه الطريقة استعملها الشاعر في كل قصائد (الروضة) مثل قوله:

لي جنان في الوطا	$uri legnan di luda
الورد فيه قد طغى	Lwerd d ssixta
خوخ ورمان	S lxux d remman ifaz
قد أحطته بسياج	Ferga$-t id afrag yelha
وزراب مثل التاج	Izerrab i$etta
مثل طائر الباز حفضته	hasbe$t am-mefrux d lbaz
حسدتني حمامة	Thecdyi yewet tsetta
أفسدت فرحتي	Urri d gir ara
ففضلت علي أسوء الرجال	Tbeddel-i-yi s yir rgaz[2]

في هذا المثال الشاعر يصور مرارة الخيانة من طرف معشوقته بالرغم من الاعتناء الذي أحاطه بها –الروضة- وبخيراتها وذلك يظهر في قوله:

أحطتها بسياج	Ferge$-t –-id afrag ifaz.
وزراب مثل التاج	Izerreb i$etta

فقد صورها بطريقة فنية رامزة عندما قال:

حفضتها كطائر الباز	hasbe$t am-mefrux d lbaz

فلفظة Lbaz ترمز إلى الاهتمام الذي يوليه شاعرنا بمعشوقته لكن بفعل Tsetta وهي ترمز إلى امرأة تحسده خربت علاقته، بمحبوبته فخانته مع رجل آخر، وهذه الصورة في حقيقة عمقها ترمز إلى مغامرات الشاعر الغرامية عبر الزمن التي كانت تنتهي بالفضل دائما، بحيث يستولي على روضته أقل شأنا وذلك لغدر الزمن الذي عاشه شاعرنا.

إن "سي محند أومحند" في قصائد "عندي روضة" صور لنا تعطشه الجنسي وحرمانه العاطفي فعلاقاته كثيرا ما كانت تنقطع وذلك من الحساد الذين يكونون عائقا دون بلوغ هذه العلاقة هدفها ونجده في كل قصية من قصائده يصور غريمه بصورة مختلفة عن سابقتها مثل قوله:

عندي بستان كثيف	$uri legnan d imsllet
اختلط فيه الورد بالياسمين	S'Lyasmin d lward yexled
وكل أنواع الورود	Kulci yella deg lenwar.
بنيت لها جدار يحميها	Bni$-as ssur ihgebd.
شربها من السد	Tissit is si ssed
بابها باللوح و المسمار	Taburt s lluh d umesmar
في يوم من الأيام	Yiwen was deg ass lhad
وما ملكته في يوم	Ay abe deg was- l had
أخذه مني أبو عمار	Iksa-yas ubuɛammar[3]

من خلال هذه القصيدة نلمس إحساس شاعرنا بقساوة ومرارة هذه الأحداث الفضيعة التي تلاحقه، فدائما يستعمل لفظة Legnan للدلالة على الجمال الأنثوي، وهذا نابع من شعوره الداخلي بالوجع والألم، ولأنه لا يهر بهذا الجمال بالرغم من كل ما يقوم به من أجل الحفاظ عليه، فدائما يحظى بهذا الود الأنثوي غيره، بدون جد وعناء، وقد صوره في هذا المثال

---

[1]. mouloud mammeri, op,cit, P460.
[2]. mouloud mammeri, op,cit, P274.
[3]. mouloud mammeri, op,cit, P274.

بطائر " أبوعمار" الذي يرمز إلى الغدر والرذالة، فطائر أبوعمار معروف باستغفاله لفريسته مثل الذي يغدر بشاعرنا ويسلبه خليلته في غفلة منه.

فنجده في موضع آخر يقول:

غرست بستان كثيف	Zi$ legnan d imeslles
الخوخ والأجاص	Lxux d ifires
العنب و الفول و الزبيب	Taffarant ibawen d zzbib
أعطيتها منبع لتشرب	rri$-as terga la its
نبتت أغصانها	Ibed yixef-ines
كل يوم فيها أحجب	Kulyum deg-s la nettzarrib
أتى الجراد آكلا لها	Yerse-d wejrad la sikes
حتى قطعت أغصانها	Igezzem ixfines
أكلها دون ترك نصيب لي	Iccat iqdaɛ ya$ nnsib[1].

فشاعرنا هنا استعمل كما سبق وذكرنا الروضة بجنانها وخيراتها رمزا للحسن والجمال الأنثوي، أما الذي يهتم بهذه الروضة ويقوم بخدمتها حتى النمو هو شاعرنا بذاته الذي يعاني من الحرمان العاطفي، ولكن هذا الحرمان يتحول إلى مأساة وآلام حين يستولي غيره على روضته، وبطريقة فنية ربط بين الجراد وهذا المستولي بميزة أكل خيرات الغير دون عناء، وهو هنا يقصد ذلك الكمال الحسي لجسد معشوقته وودها الأنثوي.

كل هذه الرموز التي تناولناها بمختلف أنواعها ودلالاتها من رموز لغوية، مجازية وكلية، تعكس براعة الشاعر وقدرته في استخدام مثل هذه الرموز حيث عبر من خلالها عن أفكاره وميولاته ومعاناته وذكرياته في صور رمزية موحية، حملها دلالات مختلفة.

[1]. mouloud mammeri, op,cit, P278.

خاتمة:

بعد هذا العرض ينتهي البحث و لا بد لنا من الإشارة إلى أن الدراسات حول الشاعر القبائلي سي محند أومحند كثيرة وعديدة، غير أنها تتمحور في الغالب حول الجانب الحياتي دون التطرق إلى جمالية القصيدة عنده.

لذلك نأمل ممن بعدنا بالإحاطة بهذا الموضوع بمزيد من التعمق و التحليل بأكثر دقة وتمعن، ومن أهم النتائج التي استخلصنا ها من هذا البحث نجد:

أن الرمز وسيلة من وسائل التعبير التي تسمح للشاعر بأن يفضي عما في داخله و التعبير عن أحاسيسه ووجدانه بطريقة غير مباشرة.

ويعتبر سي محند أومخند من رواد هذا الفن بحيث يحتل مكانة بارزة داخل حيز الشعراء الرمزيين القبائل، فعلى الرغم من اختلاف الرمز عنده من رمز لغوي، مجازي وكلي إلى أن عنصر الطبيعة كان حاضرا بل رمزا أساسيا اعتمده في هذه الرموز الثلاث. فقد عمد إلى تشخيص الطبيعة و محاورتها فأسقط كل ما مر به في حياته على الطبيعة فشاعرنا يمتاز بالبعد الفني و التصور و الخيال العميق الذي من النادر إيجاده في عصرنا الحالي.

وفي الأخير نرجو أننا قد وفقنا ولو قليلا في عملنا هذا لأن شعر شاعرنا ثري جدا من الصعب الإلمام بجوانبه كلها فهو كنز شعري عاش لقرون ومازال، لذلك تبقى العديد من الجوانب الخفية التي تحتاج إلى دراسة وتعمق كبيرين ويبقى الرمز عند سي محند مفتوحا قابلا للدراسة الجديدة وفضلنا أن تكون آخر صفحات بحثنا مساحة لبعض قصائد الشاعر المشهورة مترجمة إلى اللغة العربية.

ملحق القصائد

ترجمة القصائد

I. الأمس واليوم Zik - Tura

الترجمة	النص الأصلي
(1) سمّاني الناس المتلوف	Semman i medden a lmetluf
وأنا سيّد الحروف	Nek hagga$ lehruf
حتى حفظت ستين حزب	Armi ri settin hizeb
* * *	* * *
اسمي عند الناس معروف	Ism iw $er medden maɛruf
أتقدّم الصفوف	Tazallit d ssfuf
وكنت من قبل طالبا	Deg zik bbwde$ d ttaleb
* * *	* * *
والآن تبعت النساء	Tura mi tebaɛa$ sut llhuf
نفذ مالي	I kfa yi umesruf
فأدمنت الخمر والقمار	li di lkarta d ccerab
(2) عندما كنت غلاما	Af asmi lli$ d acawrar
جميلا وسيما	Zzin iw yufrar
يعمل أبي من أجلي	Ixeddem d baba felli
* * *	* * *
كنا نملك سهول شملال	Nekseb t$zezza n camlal
حتى الجبال	Nerna idurar
اعتقدته كله غِنَا	Audde$ d ssab irkwelli
* * *	* * *
والآن لم يبقى لي سند	tura mi senda$ s uffal
حظي عاتر	Zzeher iw imal
فيا حسرتاه على الأمس	Ya hetrah $ef zikenni
(3) حرفي بدأ بالخاء	Lherfiw idda $ef lxa
مكتوبة في القرآن	Yura deg nnesxa
الدنيا غرور	Zi$ ddunit am laazib
* * *	* * *
عندما كنت سخاء	Asm akken zehhu$ s rrxa
والمال كثير	D lmesruf yeqwa
في كل مكان لدي حبيب	Mekkul lgiha sɛi$ ahbib
* * *	* * *
والآن في عسري	Tura mi d zzi s le$la
معرض لكل الذنوب	Σammde$ lwesxa
وإذا تعثرت فأنا معذور	Yak ma li ulac laib

II. البعد

(4) أنـا كزرزور في قيد — Aqliy'am zerzur newqef
قـــاسنـــي حد السكيـن — Ihuzayi ccdef
قـــدره سبـحـــانـه — Drbb a graden ur nuksan

* * * * * *

عشـقت حسـن الجمـال — Σacqe$ dizzin laali
لـم أخـف اللّـــه — Ur yugad rebbi
شاب رأسي وانـأ صغيـر — Ay cabe$ nek d amezzyan

* * * * * *

مشيت علـى جليـد الليـل — Lhi$ agris d lyali
دون قـــــصـــد — Ur iban felli
أينمـا ذهبت كثر الأنـذال — Anda ddi$ zzwamel qwan

(5) يـا حسناء أنا وأنتي افترقنا — Nek idem a tuzyint nefraq
غـرّبـي أو شرقـــي — $erreb ne$ cerreq
فمنـك جاءته الخديـعـة — Lxedεa ssgem ay d ekka

* * * * * *

فـؤادي عليـك احتـرق — Afwad im fellam yehreq
عظـامـي تشـقـقـت — D i$es iceqqeq
وحـبـي فيك سكـن — Lhub iw degm iwekka

* * * * * *

الآن بـــان فـراقنـا — Yak tura yedher nefraq
كنـــا تـــائهيـن — Nezga d nεawweq
حسبت الفراق قبرًا — Bettu cuba$ t d azekka

III. الاشتياق

(6) يـا حمـام كما عرفنـاك — Ay itbir agm'ak nissin
رفـــرف بجنـاحيـك — Huz legnah i sin
طريـقك إلـى بـلادنـــا — Abrid ik ans'i d nekka

* * * * * *

بالـقلـم خـط الرسائـل — S leqlam aru tibratin
إلـــى حيـث سيـكـون — $er wanda ttilin
أحبـــائي وندمـائـي — Lehbab akw d net$ama

* * * * * *

إذا كـانـوا أفـحـــــالا — Ma llan igad ittethin
سـيـتـذكـرونـنـــا — Ard a$ d mmektin
فالقلب بـاكـي والروح في عذاب — Yettru wul tejreh tasa

(7) يـا صقر معقوق المنقـار — A lbaz uεwij uqamum
شـق البـــحر عـــوامـا — Di lebher Xas εum
مبـيـتـك فـي بـوسحل — Lembat ik Bushel
إلى الأحبـــاب الذين أحببنـا — Ar lehbab widak nennum
الذيـــن يعشـقـون الـروم[1] — Itthibbin rrum
أينمـا كـانـوا أوصـلهم سلامي — Kulwa d anida yeqqwel

---

[1]. الروم: نوع من الشراب الكحولي.

Ata lɛaqeliw la ithum عقلي يجول تائها
La ttnaji$ kulyum يترجم كل يوم
Annas maday d ssawel لكي يحين موعد اللقاء

IV. القرن الرابع عشر

Au ul iw nehhu$ kullas (8) يا قلب كم حذّرتك
Bɛad i yir nnas أن تتجنّب الأوغاد
I gad ur nessin lxir ممّن لا يعرفون الخير

* * * * * *

Abɛad taydit ggemma s منهم من تاجر بشرف أمه
Iɛac di lhirfa-s وعاش في ظل الحرام
Ad yas fell'ad ittmesxir ويأتني ساخرا

* * * * * *

Mi t id wala yiwen was وعندما تغير وضعه
Atbeddel lhalas وكثر رزقه
Signn'i gethekkir طمع في قمة السماء
Yeggul wul iw s wurfan (9) أقسم قلبي بأحزانه
Lɛibad imaɛfan الناس الخونة
Ur ten gi$ d lemhibba لن يكونوا لي أحباب

* * * * * *

Agad akw n zik kfan رجال الماضي انقضوا
Wissen sanda nfan إلى أين رحلوا
Wa di tmurt wa di l$erba بعض في البلاد وأخر في الغربة

* * * * * *

Negwra d s wig'am yilfan بقينا نحن كالخنازير
Xati bbwin isfan العفيف بيننا نادر
Lɛar ferrqen-t s lgelba نتقاسم العار بالكيل

IIV. الغربة والحنين.

Ar lebher ne$li s lqed (10) هويت إلى البحر واقفا
Sslak ulahed ولا أمل في النجاة
Siwa ma thudded ayahnin إلا بقدرتك يا كريم

* * * * * *

Attaya lmuja tzedm ed ها هي الموج قادمة
Izri w isredm ed وعيني في دمعها غارفة
$ef lehbab wid nettissin على فراق الأحباب

* * * * * *

Ttxilek ay ul tfiker ed رجاء يا قلبي تذكر
rebbi ur iggi hed الله لن يترك أحد
Ncallah annezger salmin بإذنك يا رب سنعبر سالمين

(11) إنــهــم فـي البليـدة Haten akw di leblida
أبـــنـــاء الغربـة Tarrawtيتسكعـون فـي الشـوارع l-l$erba
Di zznaqi la thawwisin

* * * * * *

يحتمون الخمر فـي الحانـات Ttissit ennsen di ttberna
ويأكلـون علـى المـوائـد Uççi $ef ttabla
جالسين وســط النـساء Tiqcicin akw garasen

* * * * * *

يأتـون من دروب "الجمعـه" Abrid lgemɛa ‘a-gaada
ولميـصـر مرسـاهـم Lmiser d lmersa
يذهـبـون إلــى ذهبيــة $er Dahbiyy’ ayd ttasen

الفهرس

إهداء
I مقدمة: .....أ-ب
II الفصل الأول: مفهوم الرمز، نشأته، أنواعه
1. مفهوم الرمز: 04-03
2. نشأته:
- عند الغرب:.....07-05
- عند العرب:.....12-08
3. أنواعه:
أ. الرمز الطبيعي:.....15-13
ب. الرمز الأسطوري: 17-16
ج. الرمز الديني:.....18
د. الرمز التاريخي: 21-19
III الفصل الثاني: دلالة الرمز في شعر سي محند أو محند
1. نبذة عن حياة سي محند أو محند.....23-22
2. الرمز اللغوي 25-24
3. الرمز المجازي.....29-26
4. الرمز الكلي 34-30
خاتمة 35
الملاحق.....44-36
قائمة المصادر والمراجع.....46-45